العربي في أدب الاطفال العبري

ادير كوهين، وجه بشع في المرآة؛ انعكاس الصراع اليهودي ـ العربي في أدب الاطفال العبري، تل ـ ابيب: رشافيم، ١٩٨٥.

يشغل البروفيسور ادير كوهين منصب رئيس قسم التربية ورئيس مركز ادب الاطفال في جامعة حيفا. وعلى الرغم من انه حاز بكتابه «وجه بشع في المرآة؛ انعكاس الصراع اليهودي ـ العربي في أدب الاطفال العبري» على جائزة ليفين كيفنيس، فان الكتاب، بذاته، لم يلق اهتماماً، بل عُتِّم عليه، وحاولت الصحف التقليل من أهميته.

بداية، يجب الاعتراف بأن من الصعب جداً استعراض كافة فصول وجوانب كتاب كوهين على نحو شامل، خاصة واننا نتعامل مع مئات من اسماء كتّاب الاطفال العبريين، ومختلف الاقتباسات والنصوص والتحليل العلمي، النظري والتطبيقي، ومفهوم الستيريوتيب في أدب الاطفال، والاوصاف النمطية والمقولبة ـ السائدة ـ لشخصية العربي التي شوِّهت على أيدي كتّاب فاشيين وعنصريين، أمثال افنير كرمئيلي، وغيره.

ولاننا نتعامل مع كتاب له خاصية التفرد في الادب العبري، وخاصة الموقف الانساني الذي يسجله كوهين، مع تأكيد اختلافنا مع كوهين في بعض طروحاته، وخاصة تلك المواقف النظرية التي استقى بعضاً منها من احدى دراسات شموئيل موريه المتعلقة بـ «شخصية الاسرائيلي في الادب العربي منذ قيام الدولة» والتي تظهر مواقف موريه المتحيزة والمغرضة في اكثر الاحيان؛ كما ان هنالك بعض التوجهات والاستنتاجات التي لا نوافق عليها؛ كابتعاد كوهين من طرح المشكلة من وجهة نظر اجتماعية ـ سياسية عميقة، ومحاولته تثبيتها في اطار اكاديمي جامد، فان للكتاب اهمية الوثيقة.

يعالج الكتاب كيفية انعكاس الصراع اليهودي ـ العربي في ادب الاطفال والامثلة التي يوليها الباحث اهمية كبيرة هي كالتالي: كيف تنعكس شخصية العربي ؟ وكيفية وصف حروب اسرائيل في الادب العبري ؟ وتأثير الايديولوجيات القومية والصهيونية والتوجهات الدينية على افراز الافكار النمطية المقولبة، السلبية والايجابية، والطريق الصحيح للوصول الى السلام، الذي يعود بالفائدة على جميع الاطراف المتنازعة.

ولأجل اجراء البحث، فان ١٧٠٠ كتاب اطفال كانت نشرت بعد حرب الايام الستة درست، وذلك لتغطية نتاجات عديدة لفترة طويلة. وكانت ثمة علاقة للعربي في ٥٢٠ كتاباً من بين مجموع الكتب التي درست، بحيث اعيدت دراسة الـ ٥٢٠ كتاباً بشكل اساسي. وفي هذا، كتب كوهين: «فمن بين ٥٢٠ كتاباً درست، وفيها وصف لعلاقات بين يهود وعرب (وهذا من بين ١٧٠٠ كتاب اطفال درست لغرض البحث) وجدنا في ٤٠ كتاباً فقط محاولة لوصف متزن وواقعي ومنفتح يشذ عن الوصف النوستالجي او البراغماتي؛ وللتفريق، فانه يختلف عن الوصف المقولب او المعادي». وتابع كوهين في استخلاص النتائج المذهلة والمؤسفة: «ثمة توجه مشجع وايجابي وحتى نوستالجي او ايديولوجي في كتب ليست قليلة [المقصود كتب الاطفال] لكنها كلها موشومة بعلاقة ' الانا ـ ذلك ' دلالة الابتعاد، او الاستعلاء، او التحمّل، او التسامح؛ ولم تُسَم بسمة ' الانا ـ انت ' التي تؤكد اهمية اللقاء الحقيقي ومصداقية الأنا والآخرين سوية، والتي هي بمثابة البداية للحوار المرجو».

ويدرك كوهين اهمية ادب الاطفال، معتبراً اياه احد الأسس الهامة للتنشئة، وبناء الشخصية، وتكوين